العدد 1

مصابيح العلم

نشرة دعوية تعنى بالتراث والمخطوط والسير والتاريخ

رجب 1439هـ/مارس 2018م

مئذنة جامع الباشا حسن (الجامع الأعظم) بوهران

تَصْحِيحُ العَقِيدَة

للشيخ أحمد بن أبي زيد قصيبة رحمه الله

أَيُّهَا العَرَبُ

للشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله

اتّقُوا اللّهَ في أَولادَكُم

للشيخ موسى نويوات رحمه الله

العلامة المحدث السلفي

عَمَّار الأَزْعَر القماري الجزائري

ترجمة ذاتية بقلمه

إنكار الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن مخلوف الثّعالبيّ المالكيّ الجزائريّ لِبدعة البِناء على القبور

فهرس العدد 1

رجب 1439هـ/مارس 2018م

إنكار الشيخ عبد الرحمن الثَّعالبي المالكي الجزائري لِبدعة البِناء على القبور.............04

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ - الشيخ البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.............06

الثلاثة الأصول في التوحيد - الشيخ أبو يعلى الزواوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.............07

تصحيح العقيدة - الشيخ أحمد بن أبي زيد قصيبة الأغواطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.............08

فرية الوهابـية - الشيخ الطيب العقبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.............12

أيُّها العرب! أينَ الأخلاق؟ - الشيخ البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.............13

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ قَبْلَهِم﴾ - الحاج أمين الحسيني مُفتي فلسطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.............16

لِنَتَعلَّمْ التَّضْحِيَة! - الشَّيخ العَربِي التّبسّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.............17

العلاَّمة المحدِّث السَّلَفِي الشَّيخ عمَّار الأزعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ - يُترجِمُ لِنفسِه.............18

اتَّقُوا اللهَ في أولاَدِكُم! - نصيحة الشَّيخ مُوسَى الأَحمَدِي نويوات رَحِمَهُ ٱللَّهُ.............21

«يا شبابَ الجَزَائِر!» - الشيخ سعيد صالحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.............22

مِن أسرار نبوغ الشيخ عبد الحميد ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ.............23

مِن وَصَايَا الحافِظ مُحَدِّث الأندلس مُحمّد بن وَضَّاح القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.............24

آثار سلفيـة.............25

وهـران الإسـلامية.............26

التـحرير: سمير سمراد
تصـميم: عنتر رمضاني

الافتتاحية

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النّساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠]

أمَّا بعد: فإنَّ خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار. ثمَّ أمَّا بعدُ: فهذه نشرةٌ علميَّةٌ دعويَّةٌ تُعنَى خصوصًا بالتراث والمخطوط والسِّيَر والتَّاريخ، نَدْأَبُ فيها على بثِّ كل فائدةٍ أو نَادِرةٍ كانت مغمورةً في بطن الكتب والمجلات، وَنحرصُ من خلالِها على أن نلتقطَ لكم مِن الشوَارد وَالمنثورات أحسنَها وأنفعَهَا، أَسمَيناها «مصابِيح العِلم»، لتكون مصادِرَ نُورٍ يُضيءُ للقارئِ يَمشِي بِهِ، وَمَفاتِحَ علُومٍ تَهدِيه وتُرشِدُه، ولُبابُ هذهِ النَّشرة ورُوحُهَا: الفِكرة الصحيحة والنَّهج الأصيل والإيمان الرَّاسِخ والشِّرعة الرَّبَّانية والاقتباسُ من أنوار النُّبُوَّة والاهتداء بِسَنَن الصالحين مِن الأَسلاف المرحومين، وَشِعارُهَا وَرايَتُها: قولةُ الإمام ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَا أَعْلَمُ دَرَجَةً بَعدَ النُّبُوَّةِ أَفْضَلَ مِنْ بَثِّ العِلْمِ» [«تاريخ دمشق» (٣٢/٤٥٦)]، وغايتُها: نفعُ النَّاسِ والنُّصحُ لهم وهدايتُهم والتَّعاونُ معهُم على البِرِّ والتَّقوى والخَيرِ والصَّلاح، وطريقتها: الانتقاءُ وَالاختصار، يُجَلِّلُ ذلكَ كُلَّهُ ويُكَلِّلُهُ: مَكرُمَةُ الوَفَاءُ وتأديةُ الحَقِّ لِرجالِ الأُمة العالِمين والأئمة الربَّانيّين، لا سيَّما الأُمَّة الجزائرية وَرجالِ هذا الوطَن الذي كان ولم يزل -إن شاءَ الله- أرضَ رِباطٍ؛ نعنِي: رِباطَ العِلم وَالعُلمَاء... واللهُ مِن وَراءِ القَصْد ومِنهُ نَطلبُ العَون ونَستمِدُّ التأييد، عسى ربُّنَا أن يُبلغنا آمالنَا هذه ويَرعَى غرْسَنَا هذا ويُقرَّ أعيُننَا بنجاحٍ وفلاحٍ وحُسنِ ثوابٍ في الدنيا والآخرة، وأن يُهيِّءَ لنا مِن أمرِنا رشَدًا، وَالحمدُ للهِ الَّذي بِنعمتِه تتمُّ الصالِحَات.

إنكارِ الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن مخلوف الثّعالبي المالكي الجزائري (ت:٨٧٥هـ) لِبدعة البِناء على القبور

قال رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «العلوم الفاخرة في النّظر في أمور الآخرة» (١٢٣/١)[طبع بالمطبعة الحميدية المصرية سنة ١٣١٧هـ]:

(باب ما جاء في النّهي عن تجصيص القبور والكتابة عليها)

روى مسلمٌ عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: **نهى رسول الله ﷺ أن يجصّص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه**. وخرجه الترمذي أيضًا عن جابر قال: **نهى رسول الله ﷺ أن تجصّص القبور وأن يُكتب عليها وأن يُبنى عليها وأن تُوطأ**. قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

قال القرطبي: قال علماؤنا: كره مالكٌ تجصيص القبور لأنَّ ذلك من المباهاة وزينة الدُّنيا وتلك منازل الآخرة وليست بموضع المباهاة وإنَّما يزيّن الميّت في قبره عمله...

(قُلتُ): ورأيتُ مرويًّا ما معناه: أنَّ القبر إذا جصِّص لا تزورُهُ الملائكة!

(فصل) قال الغزالي: «والمستحبُّ في زيارة القبور أن يقفَ الزَّائر مستدبرًا القبلة مستقبلاً بوجهه الميّت وأن يسلِّم عليه ولا يمسح القبر ولا يمسُّه ولا يقبِّله فإنَّ ذلك من عادة النَّصارى».

(قُلتُ): والواجبُ على من رأى شيئًا من المنكر أن يُغيّره بِرِفقٍ ولا يسكت خوفًا مِن الخَلْق فإنَّ ذلك مِن ضعف الإيمان.

■ وقد روى أبو نعيم في «الحلية» عن عبد الله بن عبد العزيز العمري قال: «من ترك الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر من أجل مخافة المخلوقين نزعت منه هيبةُ الله فلو أمر ولده أو بعض مواليه لاستخفَّ به» اهـ.

■ نَقَلَ هذا الفصلَ برُمَّتِهِ الشّيخ محمّد العيد آل خليفة رَحِمَهُ اللهُ، وأَثْبَتَهُ تحت عنوان «في مذكِّرتي: تقييدات علميَّة».

ونُشِر في جريدة «الإصلاح» لصاحبها الشَّيخ الطَّيِّب العُقبي، [العدد (١٥)، ١٧ ذي القعدة ١٣٥٨هـ/٢٨ ديصمبر ١٩٣٩م، (ص٤)].

■ وقد نوَّه بهذا الفصل الشَّيخ باعزيز بن عمرو الزَّواوي رَحِمَهُ اللهُ في مقالٍ له نُشِرَ بمجلَّة «الشِّهاب» [جزء شوَّال ١٣٥١هـ، (ص٧٤-٧٧)]، قال: «وإلى متى نبقى معرضين عن الواجب وننفق أموالًا طائلة تُعدُّ بمئات الألوف في سبيل بناء الأضرحة والقباب على قبورٍ لو قام أصحابها لما وسعهم إلَّا هدمها اجتنابًا لنهي النَّبيِّ ﷺ الوارد في ذلك كلِّه، ولا شكَّ أنَّنا نُرضي من يستحسنُ هذا العمل من أولئك المغرورين إذا أحَلْنَاهُ إلى ما في أقرب كتابٍ إليه وهو كتاب «العلوم الفاخرة» لسيدي عبد الرحمن الثَّعالبي رَحِمَهُ اللهُ فإنَّ فيه من التَّشنيع والتَّقبيح لمن يرتكبون أعمالًا كهذه ويصرفون أموالًا وافرة لأجلها ما يكفي لزجرهم عن ذلك إن كانوا يحبُّون «العلوم الفاخرة» حقيقةً، وإلَّا فسيلقى كلٌّ ما قدَّمت يداه يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلبٍ سليم» اهـ.

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾

قال الإمامُ الإبراهيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندَ آية سورة إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم:٣٦]، في سياق حديثِهِ عن الوثنيَّة الّتي حاربها الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومِن قبلِهِ نبيُّ الله نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

«فهذه القباب المشيَّدة، وهي أوثانُ هذه الأمَّة، أضلَّت كثيرًا من النَّاس، وأكثر من الكثير، وافتتنُوا بها، وبأسماءِ أصحابها، حتَّى أَلْهَتْهُم عن دنياهم وأفسدت عليهم أُخرَاهم، وغلَوْا في تعظيمها حتَّى أصبحت معبودةً؛ تُشَدُّ إليها الرِّحال، وتُقرَّبُ لها القرابينُ والنُّذور، وتُسألُ عندها الحاجات الَّتي لا تُسأَلُ إلّا من الله، ويُحلَف بها من دون الله، ويُتَألّى بها على الله، وما جرَّ هذا البلاء على الأمَّة الإسلاميَّة حتَّى أضاعت الدِّين والدُّنيا، إلَّا سكوتُ العلماء عن هذه الأباطيل أوَّلَ نشأتها، وعدمُ سدِّهم لذرائعها حتَّى طغت هذا الطُّغيان على عقول الأمَّة، ولو أنَّهم فقَّهوا الأُمَّة في كتابِ ربِّها، وسَاسُوها بسُنَّةِ نبيِّها لكان لها مِن سِيرةِ إبراهيم ومحمَّدٍ عاصمٌ أيُّ عاصم مِن هذا الشَّرِّ المستطير»اهـ [الآثار (397/1)].

قال الشيخ أبو يعلى الزَّواويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٨٦٢م-١٩٥٢م)؛ إمام جامع سيدي رمضان بقصبة الجزائر:

«الشَّيخ محمد بن عبد الوهَّاب مُجَدِّدُ مَذهبِ الإمام أحمد مع تَرجيحِ مَذهبِ السَّلَف، وكتابُهُ في العقيدة التَّوحِيديَّة [أي: الثلاثة الأصول في التَّوحِيد] يُبَاعُ بمكتبة «رُدُوسِي» بمدينة الجزائر، ولا يَستطيعُ سُنِّيٌّ أن يَرُدَّ فيه كلمةً ولا نصفَ كلمة!»اهـ.

[«البصائر»، العدد: (167) مِن السِّلسلة الأُولى، (ص:2)]

الثلاثة الأصول
في التوحيد
لشيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب
المطبعة الثعالبية
رودوسي قدور بن مراد التركي
بنهج مصطفى اسماعيل عدد
بالجزائر
سنة ١٣٥١

***

تَصْحِيحُ العَقِيدَةِ

للشيخ أحمد بن أبي زيد قصيبة الأغواطي

(ت 1994م)

الحمدُ للهِ شَرَعَ الدِّينَ هِدايةً للمُؤمنين، ووَفَّقَ مَن شَاءَ للتَّمَسُّكِ بِهِ، والتَّحَلِّي بآدابِهِ فضلاً مِن اللهِ ونعمةً، واللهُ عليمٌ حكيمٌ، وأَشهدُ أن لا إلهَ إلا الله، كتبَ رحمتَهُ للمُتَّقِين وأشهدُ أنَّ سيِّدنا مُحمّدًا رسولُ اللهِ، المبعوث رحمةً للعالمين، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم وبارِك على سيِّدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الحافظين لحُدُودِ الله.

أما بعد، فقد كان رسول الله ﷺ إذا خطب احْمَرَّت عَيناه، وعَلا صوتُه، واشتَدَّ غضبُهُ، حتَّى كأنَّهُ مُنذِرُ جيشٍ يقول: صَبَّحَكُم ومَسَّاكُم، ويقول: «**أمَّا بعد فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله تعالى، وخيرَ الهُدَى هُدَى محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمور مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار**»، وذلك عندما يَرى مُخالفةَ الدِّين[١].

يا مَعشَرَ المُسلمين!

فقَد مَكثَ رسولُ اللهِ ﷺ في أَوَّلِ البِعثةِ ثلاثَ عشر سنةً والقُرآن يَنزلُ عليهِ مُحَارِبًا للشِّركِ، وآمِرًا بالتَّوحيد، قبلَ أَن ينزل عليهِ بالتَّشريعات والعبادات، فأساسُ الدِّينِ الإسلاميّ التَّوحِيدُ، وأَكبرُ الكبائِر وأَعظمُ المعاصي الشِّركُ باللهِ، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] وأَمرَنَا اللهُ بِالإخلاصِ في العِبادةِ فقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

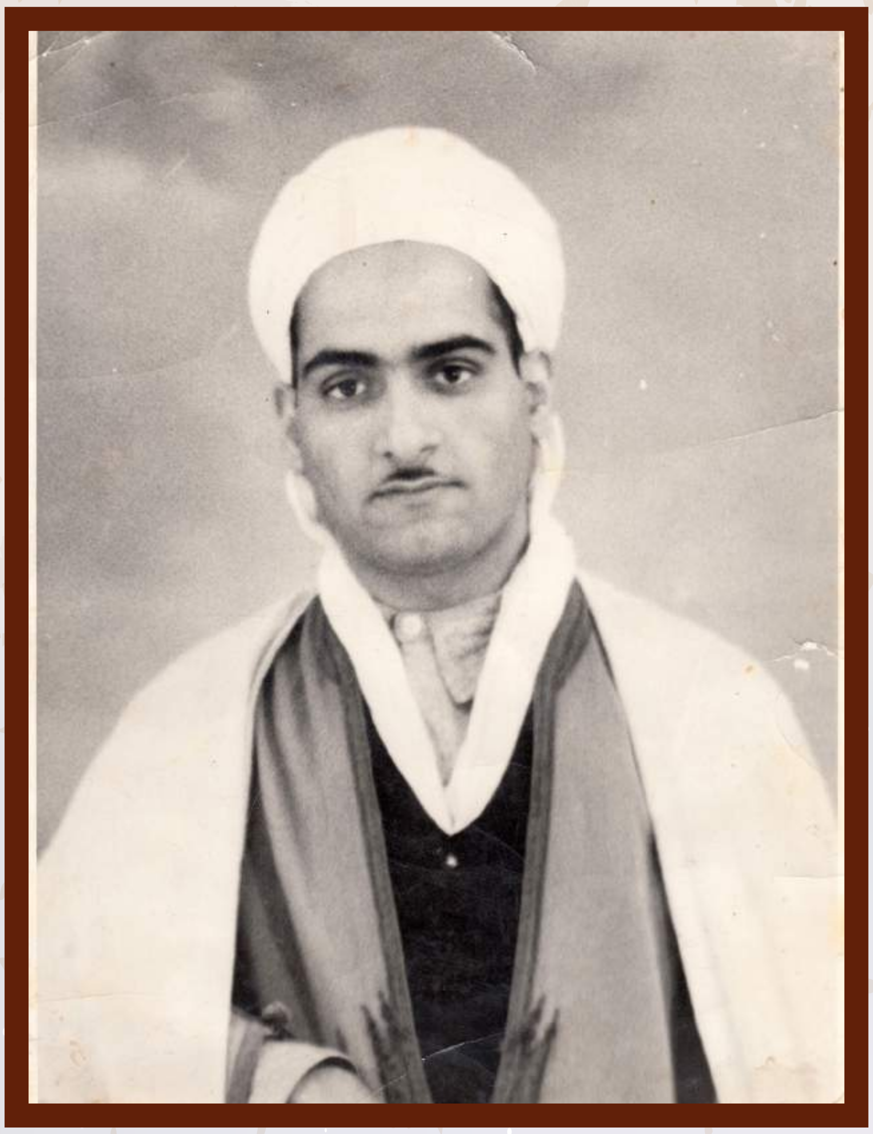

الدِّينُ يَأمُرُنا بتَوحيدِ اللهِ في ذَاتِهِ وصِفاتِه،

١- بل كان ذلك تقريرًا وتحذيرًا من الشّرِّ قبل وقوعه. [مصابيح العلم]

وبِالخُضُوعِ له، واعتقادِ أنَّ واجِبَ الوُجُودِ إلهٌ واحدٌ قادرٌ مُرِيدٌ عليمٌ حكيمٌ سميعٌ بصيرٌ، مُتَّصِفٌ بكُلِّ كمالٍ[١] مُنَزَّهٌ عن كُلِّ نَقصٍ، أَبدَعَ الكائِناتِ بقُدرتِه، ودَبَّرَها بعِلمِه وحِكمتِه، فهُوَ الَّذِي يُحيِي ويُمِيت، ويُعطِي ويَمنَع، والَّذي يَضُرُّ ويَنفَع، ذلكُمُ اللهُ ربُّكُم لا إله إلاَّ هُو خالِقُ كُلِّ شيءٍ فاعبدُوهُ، وهُو على كُلِّ شيءٍ وَكِيلٌ.

هذا هُوَ الاعتقادُ الحَقُّ الَّذِي يُخرِجُ النَّفسَ مِن ظُلماتِ الجهل، ويَرفعُها مِن وَهْدَةِ الشِّركِ، ويُطَهِّرُهَا مِن دَنَسِ الخُرافَاتِ والأَوْهَام، فلاَ تَنحَطُّ إلى عبادةِ جمادٍ أو إنسانٍ أو حيوان، ولا تَخضَعُ إلاَّ لِمَن لَهُ غايةُ العَظَمَة، ونِهايَةُ الإنعَام: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر: ٦٤].

> فأساسُ الدِّينِ الإسلاميّ التَّوحِيدُ، وأكبرُ الكبائِرِ وأعظمُ المعاصي الشِّركُ باللهِ.

يا معشَرَ المُسلِمين! مَالَنَا أَصبَحْنَا نَرى الحَقَّ باطِلاً، والبَاطِلَ حَقًّا، وجَعَلنَا البِدعَ والخُرافات مِن الدِّينِ والدِّينُ يُحارِبُها ويَنهَى عَنهَا، وقامَ النَّاسُ بالطَّبْلِ والمِزْمَارِ في حفلاتِ الأَذكَار، وظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يُقَرِّبُ إلى اللهِ قُربَانًا، وهُو عندَ اللهِ ضلالٌ وبُهتانٌ، وزُرتُم قُبورَ الأَولياءِ والمشايِخِ، لاَ لِلاِتِّعَاظِ والاِعتِبَارِ بِهِم، والسَّيرِ على مِنوالِهِم، والاِقتداءِ بِهِم، ولكِن لدُعَائِهِم، وتَقبيلِ أَعْتَابِهِم وقَصدِهِم في الدَّعَوات، وطلبِهِم حَلَّ مَشاكِلِكُم، ونِسبَةِ عِلمِ الغَيْبِ لهُم، ولاَ يَعلَمُ الغيبَ إلاَّ الله، وادَّعَيتُم أَنَّ لهُم التَّصرُّف، ولم تُفرِّقُوا بَينَ الخَالِقِ والمَخلُوق، وقَد عَلَّمَنَا جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَام أَركانَ الإيمانِ السِّتّ عندما سأَلَ رسولَ اللهِ (عليه الصلاة والسلام) فقالَ لهُ: «الإيمانُ أَن تُؤمِنَ باللهِ وملائكتِه وكُتبِهِ ورُسُلِهِ واليَومِ الآخِرِ وأَن تُؤمِنَ بالقَدَرِ خَيرِهِ وشَرِّهِ».

وقَد لَخَّصَ اللهُ تعالى في سُورة الإخلاص أركانَ التَّوحِيدِ فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

فإيَّاكَ أيُّها المسلمُ! أَن تَسأَلَ أو تَستَعِينَ بغيرِ اللهِ، وأَنتَ تَقرَأُ في اليَومِ الواحِدِ عِدَّةَ مرَّاتٍ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

١ - فنُؤمِنُ بكُلِّ ما وصفَ اللهُ بِهِ نفسَهُ وأثبتَهُ في كتابه ووصفهُ بهِ رسولُهُ وأثبتَهُ في سُنّتِهِ مِن غَيرِ تَكيِيفٍ ولاَ تمثِيلٍ ولا تعطِيل. [مصابِيح العِلم]

وإِيَّاكَ أَن تقُولَ: يَا وَلِيّي فُلان اقْضِ حَاجَتِي وفَرِّجْ عَنِّي كُرْبَتِي، أو اشْفِ مَرضِي، فإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الشِّرْكُ بعَيْنِه، وإِنَّهُ دَاعٍ لعَدَمِ الإِجَابَةِ فإِنَّ الأَولياءَ الصَّادِقِين لاَ يُرضِيهِم مَعصيةُ اللهِ، ولا يُحِبُّونَ أَن تذكُرَهُم وتَنْسَى اللهَ، ولا يَوَدُّونَ أَن تُنَادِيهِم وتَغفَلَ عَنِ اللهِ، إِنَّمَا يُحِبُّونَ أَن يَكُونَ النَّاسُ أَمثَالَهُم، يَتَقَرَّبُونَ إلى اللهِ بِمَا تَقرَّبُوا بِهِ إِلَيهِ مِن إيمانٍ وعملٍ صالحٍ، فإِنَّ اللهَ يُغضِبُهُ أَن تَسأَلَ خَلْقَهُ وتَدَعَهُ، فهَل إِذَا غَضِبَ عَلَيكَ يُجِيبُكَ؟ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ!

ثُمَّ يَا مِسكِينُ! أَيُّهُمَا أَقربُ إِلَيكَ؟ المَخلُوقُ الَّذِي انقَطَعَ حَبْلُ حيَاتِهِ، وأَصبَحَ رَهِينَ أَعمَالِهِ، والَّذِي لاَ يَملِكُ لنَفسِهِ نَفعًا ولاَ ضَرًّا، فَضلاً عَن أَن يَملِكَ لغَيرِهِ شَيئًا؟ أَم الرَّبُّ الَّذِي هُوَ أَقرَبُ إِلَيكَ مِن حَبْلِ الوَرِيدِ؟ أَتَدعُو وتَطلُبُ مَن لَيسَ بِيَدِهِ شيءٌ، وتَترُكُ مَن فِي يدِهِ خزائنُ السَّماواتِ والأرض: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

أَيُّها المُعَلِّمُونَ بِالمَدارِسِ! عَلِّمُوا أَبناءَ المُسلمين أَركَانَ التَّوحِيدِ وصَحِّحُوا عَقِيدَتَهُم مُنذُ الصِّغَرِ، واغرِسُوا فِي نُفوسِهِم حُبَّ اللهِ وحُبَّ رَسُولِهِ، أَن يَستَعِينُوا بِاللهِ وَحدَهُ ولاَ يَستَعِينُوا بِمَخلُوقٍ دُونَهُ، فتَعلِيمُهُم ذلِكَ مِن الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ على الحَجَرِ، فيَكبُرُوا وعَقِيدتُهُم فِي اللهِ صحيحةٌ سَلِيمَةٌ، لاَ تُؤَثِّرُ فِيهِم العاداتُ والسُّلُوكاتُ الخَاطِئَة.

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ! وتَمَسَّكُوا بالكِتابِ والسُّنَّةِ، فإِنَّها الطَّرِيقُ إلى الجَنَّةِ، واتَّقُوهُ حَقَّ تُقَاتِهِ، واسْعَوا فِي مَرضَاتِهِ، واخْشَوْهُ وَحْدَهُ، ولاَ تَخْشَوا سِوَاهُ: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].

ولاَ تَسمَعُوا لِلأَغانِي الشِّركِيَّةِ الَّتِي تَقصِدُ الأَمواتَ فِي الدَّعَوَاتِ، وتَطلُبُ مِنهُم الشِّفَاءَ، وخَلِيلُ الرَّحمَنِ يَقُولُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنه قال: كُنتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا فقَالَ: «**يَا غُلامُ! إِنِّي أُعلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احفَظِ اللهَ يَحفَظْكَ، احفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إِذَا سَأَلتَ فَاسأَلِ اللهَ، وإِذَا استَعَنتَ فَاستَعِنْ باللهِ، واعلَم أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجتَمَعَت عَلَى أَن يَنفَعُوكَ بشَيءٍ لَم يَنفَعُوكَ إِلاَّ بشَيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وإِن اجتَمَعُوا عَلَى أَن يَضُرُّوكَ بشَيءٍ لَم يَضُرُّوكَ إِلاَّ بشَيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيكَ، رُفِعَتِ الأَقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ**» أخرجهُ التِّرمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ

صحيحٌ.

[المصدر: أحمد بن أبي زيد قصيبة الهلالي، «الإِمَامُ النَّاجِحُ»، قدَّمه ووثَّق نُصوصه: العلمي حدباوي، (ص١٤٠-١٤٤)، ط١/١٠/٢٠١٠م].

تعريفٌ مُختصَرٌ بالمُؤلِّف:

وُلد عام ١٩١٩م بالأغواط، تعلَّم أوَّلاً بالكتاتيب القرآنية، وتردَّدَ على «المدرسة العربية»، وكان مع ذلك تلميذًا في «المدرسة العمومية الفرنسية» الَّتِي حازَ فِيها على الشهادة الأهلية في قسم تكميلي. هاجر رُفقةَ زَميلَيهِ: أحمد شطَّة وأبو بكر الحاج عيسى إلى «جامع الزيتونة» بتونس سنة ١٩٣٣م، وعاد ليبدأ في الأغواط بتعليم الناس. ولمَّا نُفِيَ البشير الإبراهيمي إلى «آفْلُو» سنة ١٩٤٠م كان يَزُورُهُ مع أبو بكر الحاج عيسى وشقيقه محمد الحاج عيسى، ولمَّا رُفِع قرارُ النَّفيِ عن الإبراهيمي في سنة ١٩٤٣م استقدَمَ أحمد قصيبة وجعلهُ كاتبًا مركزيًّا للجمعية عام ١٩٤٦م ومُحَرِّرًا بجريدةِ «البصائر» في سلسلتها الثانية، مع نشاطاتٍ كثيرةٍ بمَركز «جمعية العُلماء» وفي مساجد ومدارس بالجزائر العاصمة ونواحِيها.

وابتداءً من سنة ١٩٥١م كُلِّفَ بإلقاء دروسٍ بالمسجد العتيق بالأغواط، وعندما اندلعت الثورة التحريرية المباركة انخرط في «جبهة التحرير الوطني». وبعد الاستقلال دعاه «أحمد توفيق المدني» وزير الأوقاف فأَسنَد إليه التفتيش الجِهوي في مناطق (الواحات والسَّاوْرَة) المشتمِلة على (١٣) دائرة ينتقلُ إليها، وأسَّسَ المعهد الإسلامي في مدينة الأغواط، وصار مُديرًا له سنة ١٩٦٤م، كما أسَّسَ معهدًا إسلاميًّا آخر في مدينة أدرار. وعندما تأسَّسَ «المجلسُ الإسلاميُّ الأعلى» سنة ١٩٦٦م عُيِّنَ عُضوًا فيهِ، كما تولَّى مُهِمَّة الوَعظِ والتَّوجيهِ في المسجِد العتيق للمَدِينة. تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ يوم الإثنين ٢٤ محرم ١٤١٥هـ/ ٤ يوليو- جوان ١٩٩٤م.

فِرْيَةُ الوَهَّابِيَّة!

قال دَاعِيَةُ الإِصلاحِ الدِّينِي العلاَّمة الطيِّب العُقبي رَحِمَهُ اللهُ:

«...ثُمَّ ما هِيَ هذهِ الوهَّابية....الَّتِي تَصوَّرَها المُتَخيِّلون أوصوَّرها لهُم المُجرِمون بغَيرِصُورتِها الحقيقيَّة؟......

وإذا كانت الوهَّابيةُ [هِيَ عبادةُ اللهِ وحدَهُ بِما شَرَعَهُ لِعبادِهِ] فإنَّها هِيَ مَذهبُنَا ودِينُنَا ومِلَّتُنَا السَّمْحَة الَّتِي نَدِينُ اللّهَ بِهَا، وعَلَيهَا نَحيَى وعَلَيها نَمُوتُ ونُبعَثُ إن شاءَ اللّهُ من الآمِنِين...»اهـ

[جريدة «السنة»، العدد(2): 22ذي الحجة ١٣٥١هـ/١٧أفريل١٩٣٣م، (ص:1-2و7)].

مستدرك على مجموعة آثار الإبراهيمي:

أيُّها العرب! أينَ الأخلاق؟

نَشَرَتْ مجلَّةُ «الشُّبَّان المسلمين»[في عددها (8)، السَّنَة (24):17 شعبان 1372هـ-أول مايو1953م-(ص:12-فما بعدها)] حيثيّاتِ:

«تكريم سموّ الأميرعبد الله الجابر الصّبّاح وزير معارف إمارة الكويت في دار المركز العام للشُّبَّان المسلمين بالقاهرة»: «في السَّاعة الثامنة من مساء الخميس 26 مارس 1953 احتفلت دار الشُّبَّان المسلمين بالمدعوّين لتكريم حضرة صاحب السّمو الأمير عبد الله الجابر الصّبّاح وزير المعارف بإمارة الكويت...»، وبعد أن نَشَرَتْ المجلَّةُ «كلمة حضرة الدّكتور منصور فهمي»،

قالت(ص:16-15-14):

«... وهُنا قام فضيلة السّيِّد البشير الإبراهيميّ رئيس جمعيّة علماء الجزائر فألقى الكلمة التّالية:

كلمة السَّيِّد البشير الإبراهيمي

أخي الأمير، إخواني الأعزّاء. السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إنَّ قاموس الرِّجال، كقاموس الألفاظ، فيه الدَّخيل والأصيل، وفيه الغريب والقريب، وفيه المستعمَل والمهمَل، وفيه السَّهل والمعقَّد، وفيه المشهور والمتروك. هكذا علمنا من لغتنا، وهكذا الرِّجال أيُّها الإخوان. الرِّجال أيُّها الإخوان! فيهم الأصيل، ولستُ أعني أصالة النَّسب، فالنَّاس لآدم وآدم من تراب، وإنَّما أعني أصالة الأخلاق وأصالة الرَّأي، وكلُّ ما يدلُّ عليه هذا المعنى مِن ألفاظ، كالعتق والكرم. فإذا فتَّشنا رجالنا الحاضرين ورجالنا الغابرين، لا نجدهم يختلفون في هذه القاعدة.

لقد كنتُ قبل دقائق معدودة أَتناجى مع إخوة ثلاثة، فقلتُ لهم فيما قلتُ: أين البشاشة الَّتي كان يجدها المسلم حين يلقى أخاه المسلم، فمِن ذي قبل كان يتهلَّل وجهُ المسلم بِشْرًا حين يرى أخاه المسلم، ويطمئنُّ إليه، ويبوح بسرِّهِ إليه، فكأنَّه يضع سرَّه أمانةً عنده، وعِرْضَهَ تحت تصرُّفه، فيصونه، ويحفظه له حفظه لعِرْضِ نفسه أو أكثر.

أين هذه الأخلاق الآن أيُّها الإخوان؟ المسلم الآن إذا وجد المسلم، فكأنَّه وجدَ

عدوَّهُ، هذه الأخلاق أيُّها الإخوان، انتقلت من القلوب إلى الألسنة، فأصبحت الألسنة تُجَامِل، فكثرت عندنا المجاملات اللَّفظيَّة، وأصبحنا نعتمد عليها في كثيرٍ من الأحوال، وأصبحت رائدَ النَّاس في المعاملات، وما هي إلاَّ غشٌّ وخداعٌ ومُوارَبَة ، لا أكثر ولا أقلَّ.

أيُّها الإخوان! إذا كان الرِّجال بالألفاظ، فالحمدُ لله أن أبقى لهذه الأمّة، الّتي اختارها واصطفاها بنبيِّه ﷺ، الحمدُ لله أن أبقى لها بيوتاً حفظت ذلك المجد، وبقيت كأنَّها بسملةٌ في لَوحٍ، إذا لم يُكتب القرآن الكريم فيه فقد كُتب فيه ما يدلُّ عليه كلِّه.

«البيت» معناه في العُرف: الإيمان بالدِّين، وما ضاع العرب إلاَّ يوم ضاع «البيت» فيهم، ولا بدَّ للمجد مِن بيتٍ يحفظه، والحمدُ لله على أنَّه لا تزال تُوجد البيوتات العربيَّة الَّتي تدلُّ على أنّنا إخوةٌ ديمقراطيُّون. ولا أقصد بالدِّيمقراطيَّة المعنى المعروف بين الدُّول الآن فهي أكذبُ كلمةٍ، وأنا لا أُسمِّيها كلمةً بل أسمِّيه فخًّا، وللأسف الشَّديد أنَّنا نحنُ العربَ -لأنَّنا أبرارٌ وصادقون وكُرماء- أصبحنا مخدوعين بهذه الكلمة الَّتي تُقال باللِّسان فقط، وليس لها أيُّ معنى عملي يدلُّ عليها، فهي غشٌّ ورياء، وقد خُدعنا كثيرًا بهذه الكلمة، وما زلنا نُخدع بها من الغربيِّين وأذنابهم، وقد دَرَسنا هؤلاء الغربيِّين، وعرفنا أخلاقهم وخداعهم، وبالرّغم من ذلك لا نزال نُصدِّقهم أو نُخدع بما يزيِّنه الدُّعاة لهم وبما يدعون إليه من الدِّيموقراطيَّة الزَّائفة. وأنا أرجو-بسبب هذه البيوتات الجديدة الَّتي ما زالت تحفظ مجد العروبة- ألاَّ تغترُّوا بعد الآن بألاعيب الغرب وخداعه.

وإنِّي أرى أنَّ الشَّواهد تدلُّ على أنَّ الفجر قد بزغ، وما الفجر إلاَّ «الإسلام» الَّذي أخذ يقوى من جديد، وهو مملوءٌ بالكنوز الَّتي وضعها الله فيه، ولكنَّنا للأسف الشَّديد لا نُحسن التَّصرُّف فيها، ولو أحسنَّا استعمالها والتَّصرُّف فيها وتنفيذها لوجدنا أنفسنا أحسنَ الأمم وأعظمها شأنًا. أمَّا هؤلاء الدِّيمقراطيُّون من الغربيِّين فنقول لهم تعالوا ادرسوا الإسلام وحقِّقوه وحقِّقوا ما في جزيرة العرب من كنوزٍ عظيمة، فتجدون فيها معاني الدِّيمقراطيَّة الصَّحيحة.

لقد كان العرب منذ بدايتهم على أخلاقٍ عربيَّةٍ مجيدةٍ، كلُّها مكارم، فقد كانوا في جاهليَّتهم، على ما كانوا عليه من عبادة الأوثان وكثرة الحروب، إلاَّ أنَّهم كانوا بالرّغم من ذلك يحتفظون بأخلاقٍ موروثةٍ، فيها الكرم والعتق والعفو وما إلى ذلك من فضائل الأخلاقِ الَّتي سمَّاها الرَّسول (عليه الصَّلاة والسَّلام) «مكارم» وجاء الإسلام ليكمِّلها.

إنِّي أشكر الله أنَّ للعرب آذانًا صاغيةً، وهم

في جميع الدُّنيا كرجلٍ واحد، والإسلام لا يقبل المهانة، ولا يقبل الذِّلَّة، والمسلمون كذلك لا يقبلون الدَّنيَّة في دينهم. فيجبُ علينا أن نشعر بالقوَّة والاتِّحاد مع بعضنا، كما يجب أن نكون مُخيفِين حتَّى يخافنا الغيرويخشى بأسنا، وأرجو أن تسمعوها كلمةً واحدةً هي أن تبعثوا هذه التَّيَّارات المدفونة في العرب، وهذه الأرواح الوثَّابة والنُّفوس الكبيرة، حتَّى إذا ما لبثت متَّحدةً تحت قائدٍ واحد، فإنَّ الأقوام يذهبون عنَّا وحدهم دون أن نطلب من مستعمرٍ أن يُغادر بلادنا، لأنَّه حينذاك سيخشى بأسنا بحقٍّ.

أيُّها الإخوان! الكلام كثيرٌ والوقتُ قليل، وإنِّي أهنِّئ حضرة الأميرواعتبر أنَّ هذه الرِّحلة الميمونة أعزُّ شيءٍ في عمرنا، لأنَّه كان يَسمع عن مصرولا يرى، ولكنَّه الآن يَسمع عنها ويرى، والرُّؤيةُ فوق السَّمع بكثير، وإنَّه سوف يرى كثيرًا، وسيرى في البلاد العربيَّة نموذجًا عظيمًا لما رآه في مصر، وإنِّي أشكرُ الأميروأشكرمصر وأهنِّئهما بهذه المناسبة السَّعيدة.

أيُّها العرب! قد اتَّسع الوِشَاحُ بفضلٍ مِن دِين، وقد طلع الصَّباح فأطفِئوا القِنديل. والسَّلام عليكم ورحمةُ الله وبركاته».

فخر علماء الجزائر
الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾

قال الحاج أمين الحُسيني؛ مفتي فلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى رَحِمَهُ اللهُ، في «الخطاب الافتتاحي للمؤتمر الإسلامي العام في المسجد الأقصى»، عام (١٣٥٠هـ= ١٩٣١م):

«أيُّها الإخوان! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١]، فَمَا أَصابَ المسلمين مِن ضَعَةٍ بعدَ رِفعَةٍ وذُلٍّ بَعدَ عِزَّةٍ وضَعْفٍ بَعدَ قُوَّةٍ وقِلَّةٍ بَعدَ كَثرَةٍ؛ إنَّمَا هُوَ الانحرافُ مِنهُم عَن سُنَنِ دِينِهِم القَويم، وَلِتَهَاوُنِهِم بِمبادِئِه وتَركِهِم لأَوَامِرِه، وخُرُوجِهِم عَن قَوَاعِدِه، وهُوَ الدِّينُ الَّذِي كَفَلَ لَهُم السَّعادَةَ في هذِهِ الحياة وفِي الآخِرَة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا﴾ [النور: ٥٥].

لَقَد نَسِينَا اللهَ فنَسِينَا، ونَسِينَا اللهَ فَأَنْسانَا أَنفُسَنَا، وتَرَكْنَا العَمَلَ بِكِتَابِه فتَركَنَا وسَلَّطَ عَلَيْنَا بِذُنُوبِنَا مَن لَا يَخَافُه ولَا يَرحَمُنَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

وَكَيْفَ يَذِلُّ المُسْلِمُونَ وَفِيهِم
كِتَابُكَ يُتلَى كُلَّ يَوْمٍ وَيُعَظَّمُ
عَصَيْنَا وَخَالَفْنَا فَعَاقَبْتَ عَادِلًا
وَحكَّمْتَ فِينَا اليَوْمَ مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُ

لِنَتَعَلَّمْ التَّضْحِيَة!

قال العلاَّمة الشيخ العربي التبسي رَحِمَهُ اللهُ في خطابٍ أَلقَاهُ على المجلس الإداري للجمعية عام ١٣٧٢هـ= ١٩٥٢م:

«...يَجِب علينا أن نتعلَّمَ مُحاسبَة أنفسِنا قبلَ أن نُحاسِب الناسَ، وقبلَ أن يُحاسِبنا الناسُ، يَجِب علينا أن نكون أشِدَّاءَ على أنفسنا حتى نستطيع أن نحتفظ بهذا الميراث العظيم، وأن نُبَلِّغَهُ سليمًا لأبنائِنا مِن بعدِنا.... ونحنُ حَامِلُو رايةِ الدين والقرآن، يَجِب علينا أن نكون أقوى رُوحًا، وأعظمَ هِمَّةً، وأكثرَ تَضحِيةً مِن أولئك المُبشِّرِين والمبشِّرَات الذين هجروا البلاد والأوطان والصَّحْبَ والخِلاَّن، وتركوا «باريس» و«لندرة» و«لاَهَايْ» وغيرها، يَجُوبُون أقطار الأرضِ للقيام بدَعوتِهِم تاركِين الدنيا وراء ظهورهم. ثم اذكروا قولَه ﷺ: **«إِيَّاكُم وحَزَّاز القُلُوب»**[1].

فلتَكُن الأُخُوَّةُ رائِدَنا، وليَكُن الإخلاصُ رِباطَنا، ولتَكُن النَّزَاهَةُ شِعارَنا، وليَكُن نُكْرَانُ الذَّاتِ القَاسِم المُشتَرَك الأَعظمَ بَينَنا.

إنه لا يُمكِن إرضَاءُ الإسلام والوطن، وإِرضَاءُ الزوج والأبناء في وقتٍ واحدٍ، إنَّهُ لا يُمكِن لإنسانٍ أن يُؤَدِّيَ واجِبَهُ التَّامّ إلا بالتَّضحِيَة، فلْنَنْسَ مِن ماضِي الآباء والأجداد كُلَّ ما يَدعُو إلى الفُتُور والى الموت، ولْنَأْخُذ مِن ماضيهم كلَّ ما هُوَ مَدْعَاةُ قُوَّةٍ واتِّحَادٍ.

إنَّ الذين جاؤُوا دِيارَنا هذه لم يكونوا أكثرَ مِنَّا مالاً وولدًا، إنَّمَا كانوا أكثرَ مِنَّا عِلمًا ونِظامًا!! فلْنَكُن دُعاة وبُنَاة العِلم والنِّظَام، وفِينَا واللهِ نَوَاةُ هاتَين القُوَّتَين، ولْنَكُن مع ذلك مثالَ الاِستقامة الدينية، فدِينُنا السَّمْحُ دِينُ أَعمالٍ لاَ دِينُ أقوالٍ...

أَعُوذُ باللهِ وأُعِيذُكُم بهِ أن نَكُون قَوَّالِينَ غَيرَ فَعَّالِينَ!...»اهـ.

١- [هو مَوقوفٌ على ابن مسعودٍ بلفظ: «الإِثْمُ حَزَّازُ القُلُوب»].

العلاَّمة المحدِّث السَّلَفِي الشَّيخ عمَّار الأزعر

يُتَرجِمُ لِنَفسِه

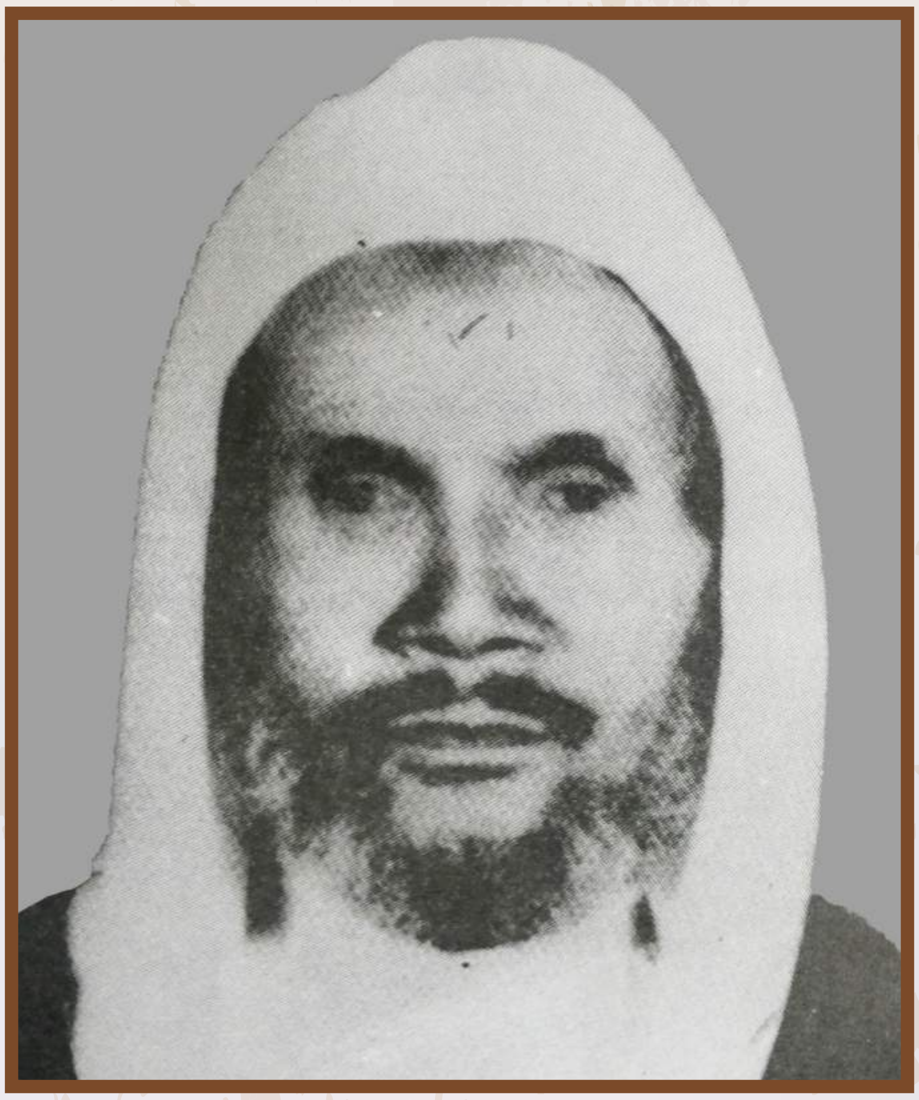

قال رَحِمَهُ اللهُ:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم أما بعد، فقد سألني من يُحسِن الظن بي أن أكتب مُوجزًا من تاريخ حياتي العلمية... وبيان الظروف التي صحِبت طلبي للعلم، ومتى وأين كان ذلك الطلب، فتريثت قليلاً ثم أجبت شاكرًا له حسن ظنه بي مستعينًا بالله تعالى فأقول:

وُلدتُ في بلدة «قِمَارْ» في واحات الصحراء الكبرى في جنوب الجزائر العربية في عام ١٣١٦هـ، ونشأت في عائلة فقيرة إلا من الإيمان بالله، ثم ابتدأت أحفظ القرآن الكريم وأنا في سن مبكرة من حياتي في بلدة «فَلْيَاشْ»: قرية من قُرى «بسكرة»، وأتممت حفظه في بلدة «سيدي عقبة» بجنوب الجزائر، ثم رجعت إلى مسقط رأسي، ولما لم أجد بها ما كنت أصبو إليه من طلب العلم استعنت الله وحده ورحلت إلى تونس مشيًا على الأقدام بصحبة والدي، وقد تكبدت مصاعب كثيرة عظيمة يهون أمرها على من طارت به الأشواق في طلب العلم والاكتراع من معينه الزُّلال، ودخلت تَوًّا جامع الزيتونة، وانخرطت في سلك التعلم، وذلك في سنة ١٣٣٤هـ، وكانت برامج العلم يومئذٍ حافلةً بمواد وكتب غزيرة المادة يدرسها شيوخ أجلة، كل شيخ بصدد فنه الذي يتخصص به، ومن فضل الله عليَّ أن أدركت الكبار من هؤلاء العلماء.

منهم: **الشيخ الصادق النيفر**

الملقب بسفينة الفقه، قرأت عليه «العاصمية» في فقه الأحكام على مذهب إمام دار الهجرة، وكان له عليها شرح طُبع بعد وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومنهم **الشيخ أبو الحسن النجار**، قرأت عليه «تنقيح الفصول في قواعد الأصول» للقرافي.

ومنهم **الشيخ محمد الزغواني** مدرس الفقه المالكي، قرأت عليه «مختصر خليل» بشرح الدردير في مراحل.

ومنهم **الشيخ عثمان بن المكي التوزري**، قرأت عليه بعضًا من «العاصمية» وله عليها شرح كبير ينتفع به وله عدة تآليف في عقيدة أهل السنة والجماعة، منها: «المرآة في إظهار أهل الضلالات»، وكتب أخرى من هذا القبيل، ودروسه عامرة بالدعوة إلى التوحيد وإظهار طريقة السلف.

ومنهم **الشيخ الطاهر بن عاشور**، قرأت عليه جملة من التفسير والحديث والأصول.

ومنهم **الشيخ عبد العزيز جعيط**، قرأت عليه شيئًا من التفسير والحديث.

ومنهم **الشيخ محمد بن القاضي**، قرأت عليه كتاب «التلخيص» في علوم البلاغة.

ومنهم **الشيخ محمد الدامرجي**، قرأت عليه شرح الأشموني على الألفية في أربع مراحل.

ومنهم **الشيخ محمد الجدمي البنزرتي**، مدرس التجويد والقراءات السبع، قرأت عليه «الجزرية» وشيئًا من «الشاطبية».

وقرأت على غير هؤلاء بعضًا من «جمع الجوامع» والمصطلح واللغة كالمعلقات السبع و«الشافية» و«القطر» و«مراح الأرواح» و«الدرة البيضاء» و«سُلَّم» المنطق والبعض من «التهذيب» في المنطق.

وبعد تمام الدراسة في تسع سنوات، تخرجت بشهادة «التطويع» المعادلة لِـ«شهادة العالمية» يومئذٍ، وذلك سنة ١٣٤٣هـ، ثم عدت إلى الجزائر لابتداء صفحة أخرى من الجهاد المقدس في نشر عقيدة السلف والدعوة إلى الرجوع إلى كتاب الله والسنة ومحاربة البدعة والضلالات، وكنتُ أحد المؤسسين لِـ«جمعية العلماء المسلمين» ورئيسًا لشُعبتها في جنوب الجزائر، وقد لقيتُ في نشر الدعوة في تلك الأيام ما يلاقيه أمثالي مِن جَوْرِ الاستعمار وإخوانه من الطرقيين، يَعرف ذلك أهل تلك البلاد.

وأنا أَحتسبُ ذلك عند الله عزوجل.
ودامت الصفحةُ مِن الجهاد إحدى عشرة سنة ثم أعقبَ ذلك الهجرة إلى هذه البلاد المقدسة خوفًا على الأهل والذرية من الفتن، وذلك سنة ١٣٥٣هـ.
وقد وجدتُ أنا ومَن هاجر معي من التلاميذ مِن جلالة الملك المعظم إمام المسلمين الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه وأسكنه فراديس الجنان مع الصالحين الأبرار، وجدنا منه كل مساعدة وإكرام، إلى أن وصلنا إلى المدينة المنورة في الخامس من ربيع الأول سنة ١٣٥٤هـ، ودخلتُ مدرسًا في «مدرسة العلوم الشرعية»، ثم حصلت على وظيفة التدريس في المسجد النبوي، ثم انتقلتُ من «مدرسة العلوم الشرعية» إلى «دار الحديث»، وأنا إلى الوقت الحاضر أدرس فيها وأجد رعايةً وتقديرًا من ولاة أمورها جزاهم الله خيرًا... ولي من الذرية الأحياء من الذكور أربعة وهم: عبد الله ومحمد وأحمد ومصطفى، ومن الإناث أربع أيضًا: عائشة وحفصة وأسماء وزينب.
وبتمام الرحلة المباركة أُنشد قولَ الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى
كمـــــا قرعينًا بالإياب المسافر

وحُرِّرَ في ٧ ربيع الأول ١٣٨٧ هـ.
«كتبه عمار بن عبد الله بن طاهر بن أحمد الهلالي الجزائري».
[مِن أعلام المدينة المنورة:... بقلم الأستاذ محمد سعيد دفتردار، مجلة «المنهل»، س ٣٥ م ٣٠، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م]

اتَّقُوا اللهَ في أَولادِكُم!..

نصيحة للشَّيخ مُوسَى الأَحمَدِي (نويوات) رَحِمَهُ اللهُ

قال الشَّيخ العَلاَّمَةُ الأَدِيب مُوسَى بن المَلياني الأَحمَدِي (نويوات) رَحِمَهُ اللهُ (1900م-1999م):

«أيها الأب الكريم! إن تربيةَ ولدك، وفلذة كبدك موكولةٌ إليك وأمانةٌ بين يديك، إن شِئت جعلتَهُ هَزَارًا في عُشّهِ يتغنَّى، وبلبلاً بين الرّياض يُشجِي بصوته العذب، وإن شِئت جعلتَهُ غُرابًا يُطارد الدود في الأرض، وبُومةً على الخرائِب تصيح. ألا فَلْنَتَّقِ اللهَ رَبَّنَا في أولادنا، وشبابنا، ونغرس فيهم القِيَم الروحية، ليشبُّوا على كريم الخصال، وجميل الفِعال، لتتحقق بهم الآمال، وتصِل بهم الأمةُ إلى منازل العِزة في العالَمين. وحتى يكون في مأمنٍ من الضلال، والاِنحلال الخُلقي الذي وقع فيهِ الكثير مِن شباب العالم في هذا العصر المليءِ بالمُغرِيات، والاِنحرافات، والذي ركَّز فيه الاستعمارُ جهوده على غزو أفكار الشباب، وصَبْغِها بالصبغة الضالَّة، حيث عجزت جيوشُه الزاحفة نحو البلدان والحصون، فاتَّجَهَ بأغراضه الدنيئة نحوَ الأفئِدة والعقول، وحشد لذلك كل طاقاته الخبيثة، مِن الأزياء الفاضحة، والأقلام الرخيصة، و(المُوضَات) الصارخة، كلُّ ذلك ليَعُوقَ الشبيبةَ عن مسيرتها إلى الأهداف الكريمة، والأغراض النبيلة، فبَاتَ لِزَامًا علينا – نحنُ الآباء- أن نُسَلِّحَهُم بالدين، ونُعَبِّئَهُم بالإيمان، ونُزَوِّدَهُم باليقين، حتى يصمُدُوا في وَجهِ ذلك التيار الجارِف الذي تلاطمت أمواجه، وعصفت ريحُه في بلاد أوربا، فأَهْلَكَ الحرث والنَّسل، ودَمَّرَ الأَخلاق والقِيَم، حتى أصبحت دعواتُ الإصلاح لا جَدوَى منها، وصيحاتُ المصلحين وصرخاتُهُم إنما هي صرخاتٌ في وَاد، أونَفْخَةٌ في رماد، وكأنهم مَن عَنَاهُم الشاعر العربي بقَولِهِ:

لقد أسمعتَ لو نَادَيْتَ حَيًّا

ولكِن لا حياةَ لِمَن تُنادِي» اه

[«الأديب موسى الأحمدي نويوات: حياته وآثاره» (ص110-109)]

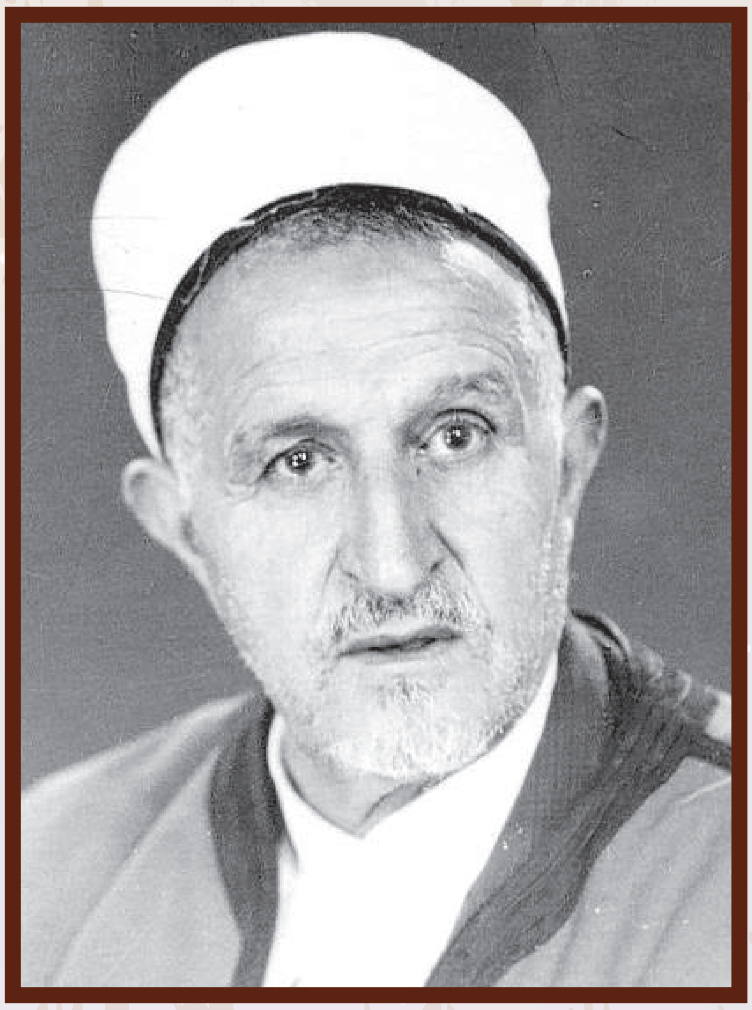

يا شبابَ الجَزَائِر!

قال الشَّيخ سعيد صالحي (١٨٨٩م-١٩٨٦م) رَحِمَهُ اللَّهُ

في كلمته التي بعُنوان: «يا شبابَ الجَزَائِر!»:

«...الشباب اليوم يجبُ أن يُنظِّمَ صُفوفَهُ ويُوَحِّدَ جُهُودَهُ ويَقرأَ ألف حسابٍ وحسابٍ لمُستقبَلِهِ الذي لا تُبْنَى قواعدُه إلا بيَدِهِ، فكَم لَهُ من ذِكرياتٍ في نَهَضَاتِ الشعوب، وكَم له من مُخزياتٍ في إبَادَتِهَا بالتَّرف والذُّنُوب.

....فيا شباب الجزائر! أُعِيذُكم باللهِ من شَرِّ كل جامِدٍ يُخدِّرُ الأعصاب وحُمْقِ كل مُفرطٍ يَدفعك إلى السَّرَاب، زِنُوا الخُطَى واعرِفُوا كيفَ تَضَعُون أقدامكم في دَرَجِ الرقِي وسُلَّمِ السعادة، فالتقدمَ بانتِظام، والأمةُ أمةٌ بالفِعل لا بالكلاَم...

يا شباب! دُونَكَ اليومَ مَسلكًا وَسَطًا وصراطًا مستقيمًا، اعترَفَ بنتيجتِهِ المُنصِفون وأَقَرَّهُ العالِمُون وانخَرَطَ في سِلكِهِ المجاهدون المخلِصون: مَنهج العِلم والسِّلْم، ومنهج تَحرير الفِكر وتطهِير الضَّمِير وتَصفِية العقيدة: سبيل الصالحين المصلحين مِن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين......

يا شباب!- دُونَكَ مَورِدًا عَذْبًا وشرابًا خالِصًا سائِغًا للشارِبين: شراب العِلم والدِّين، شراب الكتاب المكنون: شراب المرسلين وورثتهم من العلماء الصالحين المصلحين، إن الله لا يُضِيعُ أجرَ المصلحين.

إلى الفجر الصادق، إلى الحق الناطِق، يا شباب الإسلام!، إلى تصحيح العقيدة، إلى تطهير الفِطرة، إلى العِلم الصحيح، فلقد أَدْلَجَ مَن أَدْلَجَ، وعند الصباح يَحمَدُ القَومُ السُّرَى.... ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج:٤٠]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨]، ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:١٠٥].

يا شباب!- هَلُمُّوا إلى تَأسِيس المدارس، إلى فَتْحِ النَّوَادِي، إلى استِثْمَارِ المساجد، إلى تَوحِيد الجُهُود، إلى السَّعَادَتَين، إلى صِراطِ الذين أنعمَ اللهُ عليهم من الصديقين والشهداء والصالحين، إلى التَّآزُر، إلى التَّكَاتُف، إلى صَيْحَةٍ واحِدَةٍ يُردِّدُها الفَضَاء، وتَعْنُوا لها جَبَرُوت الأرض والسماء: بِأَنْ لاَ إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبر!».

[البصائر، السلسلة الأولى، العدد 82، 19 رجب 1356هـ، 24 سبتمبر ١٩٣٧م، (ص، ٥-٦)].

من أَسْرَارِ نُبُوغِ الشَّيخ عبد الحميد ابن باديس (٠١):

قال رَحِمَهُ اللهُ:

«... لا يُنكَر تأثير اسم العائلة وتاريخها ومشاهدة حال أفرادها في أبنائها، وأنا أعرف شخصًا ما قرأَ العِلمَ ولا اجتهدَ فيهِ –في أوَّلِ أمرِه- إلا لِعِلمِه بأنَّ أجدادَه كانُوا علماء»اهـ.

[ابن باديس: حياته وآثاره (٣/٥١١)].

قلتُ: وهل هُوَ إلا عبد الحميد سَليل العلماء الأماجد؟!

من أَسْرَارِ نُبُوغِ الشَّيخ عبد الحميد ابن باديس (٠٢):

تجد في «دفتر شهادات التلامذة بالجامع الأعظم» بتونس: في «دفتر عبد الحميد ابن باديس» شهاداتُ شيوخه كالتالي:

«مع مُواظبةٍ وأَهليَّةٍ فَتَحَ اللهُ علَيهِ وكثَّرَ أَمثالَهُ»

«مِمَّن يحضر بالدرس... مَع مُواظبةٍ واجتهادٍ كَفِيلَين ببُلُوغِ المُرَاد»

«مِن المُواظبين على الحُضور... مع الأَهليَّةِ وحُسْنِ التَّفهُّم»

«بِاعتناءٍ وأَهليَّةٍ وحُسْنِ الفَهْم وسِيرَةٍ مَرْضيَّةٍ »

«النَّبِيه النَّجِيب... »

«الحاذِق النَّجِيب الأَلمَعِي الأَديب... ممن حضرَ... مع المُوظبة والاجتهاد والأَهليَّةِ والسِّيرَة الحَسَنة المرضيَّة بلَّغَهُ اللهُ الأُمنيَّة...»

«مِمَّن يحضُر... مع مُواظبةٍ وحُسْنِ تَفهُّم وتَمَام اعتناءٍ فَتَحَ اللهُ على الجَمِيع»

- وبعد «التطويع» كتبَ شيوخه شهاداتهم، وكما قال أحدُهم:

«وهُوَعلى ما عُهِد منهُ مِن المُواظبَة والاعتِنَاء».

وقال آخر:

«بِهِمَّةٍ يَقْظَى وعزيمَةٍ لا تنامُ مع نَباهَةٍ وأَلْمَعِيَّةٍ كَافِلَتينِ إن شاء الله بِبُلُوغِ الأُمنيَّة»اهـ.

من أَسْرَارِ نُبُوغِ الشَّيخ عبد الحميد ابن باديس (٠٣):

يقول تلميذ الإمام ابن باديس: الأستاذ أحمد بن ذياب القنطري رَحِمَهُ اللهُ:

«... سمعتُ منه ذات يومٍ بالجامع الأخضر، وهو يُريد أن يُوحي إلينا بما ينبغي أن نكون عليه فيقول: كنتُ أسهر الليل للدِّراسة والمُطالعة مُستعينًا ببعض المُنبِّهات، لكن حين أُحِسُّ أن النوم أصبح يُغالبني، ولم تعُد المُنبِّهات العادية تنفع في دفعه عمدتُ إلى (مَطْرَحْ) أضعهُ على الأرض وأضع مرفقي على حافته حتى إذا أخذتني تَهْوِيمَة مِن الوَسن زلَّ بي مرفقاي أو أحدهما فيُلامس الآجُر باردًا فأستيقظ وأُجَدِّدُ مُطالعتي أو مراجعتي حتى أفرغ منها».

[ابن باديس وعوامل نجاحه في أداء رسالته، أحمد بن ذياب، مجلة الأصالة، العدد ٣٢، ربيع الثاني ١٣٩٦هـ، أبريل ١٩٧٦م، (ص ١١٩)].

مِن وَصَايَا الحافِظ مُحَدِّث الأندلس

مُحمّد بن وَضَّاح القرطبي

هذه نُبَذٌ مِن وصايا الحافِظ مُحَدِّث الأندلس أبي عبدِ الله: محمد بن وضّاح القُرطبي (ت:287هـ) رَحِمَهُ اللهُ لبعضِ تلاميذِه، أسُوقُها للفائدةِ وشَحْذًا للهِمَّة وتَذْكِيرًا بكلامِ السَّلَفِ الماضِين:

1. قال وهبُ بنُ مسرَّة –مِن تلامذتِهِ-: «دخلتُ على محمّد بن وضَّاحٍ بين المغرب والعِشاء مُوَدِّعًا، فقلتُ له: أَوْصِني. قال: **أُوصِيك بتَقْوَى اللهِ تعالى، وبِرِّ الوالدين، وحِزْبَكَ مِنَ القُرآن: فَلاَ تَنْسَه، وفِرَّ مِن النَّاسِ؛ فإنَّ الحَسَدَ مِن اثنين، والنَّمِيمَةَ مِن اثنين، والوَاحِدُ مِنْ هَذَا سَلِيمٌ**»

[نقلهُ في كتاب «محمد بن وضّاح القرطبي: مؤسّس مدرسة الحديث بالأندلس مع: بقيّ بن مخلد» للدكتور نوري معمّر (ص97): [«ترتيب المدارك» للقاضي عياض: (440/04)].

2. قال أحمد بن خالد بن الحبّاب –مِن تلاميذِهِ-: «كان ابنُ وضَّاحٍ يقولُ لي: **إنِّي لأَدْعُو اللهَ لَكُمْ فِي سُجُودِي أَنْ يَنْفَعكُمْ؛ لأَنَّكُمْ إِذَا انْتَفَعْتُمْ، انْتَفَعْتُ أَنَا بِكُمْ**»

[نقلهُ في كتاب «محمد بن وضّاح القرطبي: مؤسّس مدرسة الحديث بالأندلس مع: بقيّ بن مخلد» للدكتور نوري معمّر(ص96): «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (439/4)].

3 . قَالَ ابنُ الأَبَّار القُضَاعيّ في كتابه «التَّكملة»: «أبو يحيى زَكَرِيَّاء بن يحيي، قال حَدَّثَنِي أَبِي –هو يحيى بن سعيد، يُعرف بابن النّدّاف- قال: أخبرني: سعيدُ بن سعيد بن كثير: «**قال لنا محمدُ بنُ وضَّاحٍ بقُرطبة حين تودّعنا منه، وتَصَفَّحَ وُجُوهَنَا ونَظَرَ إلينا:**

لَعَلَّهُ أن يكونَ مِنْكُمْ أَحَدٌ يَبلغُ مبلغًا ينتفع به؛ فأنهاكم عن ثلاثٍ وآمُرُكُم بواحدة.

فأمَّا الَّتِي آمُرُكُمْ بها:

فأَنْ لاَ يَلْتَزِمَ أحدٌ منكُمْ إلاَّ موضِعًا يكونُ فيه أَميرُ البلدِ كُلِّهِ، لا حيثُ العُمَّالُ.

والَّتِي أَنهاكُمْ عنها:

إِيَّاكُمْ ومُلاَبَسَةَ السُّلطان والاِخْتِلاَفَ إِلَيْهِ.

وإِيَّاكُمْ وأَمْوَالَ اليَتَامَى: جَنِّبُوهَا، لا يَجْرِي مِنْهَا على أيديكُمْ شَيْءٌ.

وأَنْهَاكُمْ عن الإِمَامَةِ، إلاَّ أن يَكُونَ منكُمْ أَحَدٌ قَدْ وَثِقَ بِنَفْسِهِ في مَا بَيْنَهُ وبينَ اللهِ، فَلاَ يَفْعَلْ، وإِنْ رَآهُ النَّاسُ أَهْلاً لِذلِكَ، فَلْيَنْظُرْ هُوَ لِنَفْسِهِ، فَهُوَ بِهَا أَعْلَمُ، رَحِمَنَا اللهُ وإِيَّاكُمْ».

كَتَبْتُ هَذَا مِنْ خَطِّ أبي زيدٍ بنِ نزارٍ الشَّاطبي، فيما قَيَّدَهُ بقُرطُبَةَ». [«التَّكملة لكتاب الصِّلَة»، تحقيق: عبد السّلام الهرّاس، (162-161/4)].

آثـــار سلفية

الجَلِيسِ المُمْتِع

روى في «الطُّيُوريَّات» بسندِهِ (رقم ٥٢٠) إلى المُبَرِّد، قال: قالَ المُهَلَّبُ بنُ أبي صُفْرَة: **«العَيْشُ كُلُّهُ في الجَلِيسِ المُمْتِعِ»**...

فاللَّهُمَّ أَصْلِح لَنَا دُنيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا!

مِن كَرَمِ الرَّجُلِ

روى أَبُوعبد الرحمن السُّلَمِي في «آداب الصُّحبَة» (رقم ١٥٢) بسندِهِ إلى: ابنِ الأنباري، قالَ: سمعتُ أَبِي يقولُ: **«مِنْ كَرَمِ الرَّجُلِ: حَنِينُهُ إلى أَوطَانِهِ وشَوْقُهُ إِلَى إِخوَانِه»**...

فَاللَّهُمَّ جَمِّلْنَا بِخُلُقِ الكَرَم!

إِخوَان النَّفْع

روى وكيعٌ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «الزُّهد» (رقم ٣٣٠) بإسنادٍ حسن – كما قال مُحَقِّقُهُ- عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قالَ: **«مَن أَفَادَ أخًا في اللهِ رَفَعَهُ بِهَا دَرجَةً»**.

قلتُ: جعلنِي اللهُ وإياكم مِن إِخوَان النَّفْعِ وَالإِفادَة!

أَهْلُ السَّفَهِ و أَهْلُ العِلْمِ

روى ابن أبي عاصم في كتاب «الزُّهد» بإسنادِهِ (رقم ٩٨) إلى أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: **«زَرَيْتُ على أَهْلِ العِلْمِ أن يَكُونُوا تبَعًا لأَهْلِ السَّفَهِ! وكَانَ يَنْبَغِي لأَهْلِ السَّفَهِ أَن يَكُونُوا تَبَعًا لأَهْلِ العِلْمِ!»**...

قولُهُ: «زَرَيْتُ» مِن زَرَى عَلَيْهِ، بمَعنَى: عَابَ عَلَيْهِ، وعتَبَ وسَخِطَ ولم يَرْضَ!

قال محمد بن أحمد أبو راس الناصري المعسكري (ت1238هـ= 1823م) في «عجائب الأسفار ولطائف الأخبار»، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005م، (1/67-68):

«وقولي: [بفتح وهران...] إلخ. «وَهْران» بفتح الواو وسكون الهاء: مدينةٌ كبيرةٌ معدودةٌ مِن أَمْصَارِ المغرب الأوسط على ساحل البحر الرُّوميّ، ذاتُ أَسْوَارٍ وحُصُون وأشجاروعُيُون وبِناء لم يُوجَد مِثلُه ولاَ يَضَعُ وَاضِعٌ شَكْلَهُ، لو رآهُ صاحبُ «تاريخ مصر القاهرة»[1] لَعَدَّهُ مِن أُعجُوبات البِناء [التي] ذكرها في كتابه «حُسن المحاضرة»، ولو رآهُ الغزَّال صاحبُ الرِّحلة[2] لما اعتنى بوَصْفِ «سَبْتَة» و«طُلَيْطِلَة»، ولَو أُخبِرَ بِهِ صاحبُ كتاب «اللُّبَاب»[3] الوَاصِف لضخامة بُنيَان البُلدان لما قال: الدَّارُ دَارَان: «إيوَان» و«غَمْدَان»، ولا سِيَّمَا قَلْعَةُ «مَرْجَاجُو»[4] الشَّهِيرة الفَذَّة الجامِعة الكبِيرة، يَقِلُّ مِثْلُها في الوُجُود، وتَتِيه على قِلاَعِ «بَني حَمُّود»[5]، قد وُضِعَت في قُنَّةِ جَبَلٍ لَمَسَ الأَفْلاَكَ بِيَدِه، ونظَمَ النُّجُومَ في مَفْرِقِه، وتَلَفَّعَ بِالسَّحَابِ فِي مُرُوطِهِ، وآوَى الرِّيَاحَ إلى جَوِّه، وأَلْقَى إلى خَبَرِ السَّمَاءِ بِإِذْنِه، وأَطَلَّ على البَحْرِ بِشَمَارِيخِه، واسْتَدْبَرَ قَاعَات «سِيرَاتْ» و«مْلاَتَة» بظَهْرِه، وأَقَامَ سائِر جِبَالِ «بَنِي مَاخُوخ»[6] في حَجْرِه، وحُقَّ المَدْحُ لِـ«الجَدِيد»[7] و«العُيُون»[8]، فإِنَّهُمَا واللهِ قُرَّةٌ للعُيُون، واجتمَعَت العَجَائِبُ بِـ«البُرْجِ الأَحْمَر»[9]، فإنَّهُ يَفُوقُ «حُصُونَ بَنِي الأَحْمَر»[10]، ولو رَأَى ابن كريون[11] «بُرْج اليَهُودِي»[12] لما وَصَفَ «قِلاَعَ أَمصْيَاهُو»[13] مَلِك بَنِي يهود، ولو وَصَفْتُ لَكَ سائِر مصانِعها على التَّمام وما تَحتَ أَرَاضِيهَا مِن الأَبنِيَةِ العِظَام لقُلتَ: يَعجَزُ عَنهُ «سُوريد»[14] المُفتَخِرُ ببناءِ «الأَهْرَام»، ولَو رَأَى ذلك «سُليمَانُ بنُ سَابِق»[15]، لقَالَ: لَا يَقدِرُ على مِثلِهِ لَاحِقٌ ولاَ سَابِقٌ.... «يُتبَع»

1- هُوَ جلال الدين عبد الرحمن السُّيُوطيّ المتوفى سنة (911هـ)، واسمُ كتابه: «حُسْنُ المُحَاضَرَة في أَخبارِ مِصرَ والقَاهِرَة».

2 - هُوَ أحمد بن المهدي الغَزَّال المتوفّى سنة (1191هـ)، ورِحلتُهُ وَسَفَارَتُهُ كانت إلى الأندلس، واسمُ كتابه فيهَا: «نتيجةُ الاِجتهاد في المُهَادَنَة والجِهاد».

3 - لعله يعني: ابن الفقيه الهمذاني المتوفى نحو سنة 340هـ. صاحب كتاب «البلدان»، ففيه أنشد لبعضهم: الدار داران: إيوان وغمدان... إلخ.

4 - «قلعة مرجاجُو»: تقع في أعلى قمة جبل وهران، تُطِلُّ عليها مِن جِهةِ الغرب.

5 - قال الزركلي في «أعلامه» (2/282): «حمود بن ميمون بن أحمد بن علي، من بني إدريس، الحسني الهاشمي [توفّي نحو 400هـ]: جَدٌّ، بَنُوهُ (بَنُو حَمُّود) مِن مُلوك الطَّوَائِف بالأندلس، كانوا أصحاب مالقة وأعمالها، أَوَّلُ مَن مَلَكَ منهم علي بن حَمُّود».

6- بنُو ماخوخ هم شيوخ ورؤساء زناتيون. وبنو ماخوخ الذين كانت لهم رياسة حي (بني ومانوا) ظاهَرُوا عبد المؤمن الموحدي لما زحف إلى المغرب الأوسط ولما أثخن فيهم عساكر المرابطين تحصنوا بجبل سيرات، ولم يلبث أن هلك بنو ماخوخ. انظر تاريخ ابن خلدون (7/55-56).

7 - «البُرج الجَدِيد»؛ أوكما سمَّاه كفرة الإِسبان والفرنسيس: «بُرج سَانْ أُنْدْرِي» (Fort de saint andré): يظهرُ لكَ في مُواجهَتِهِ قرية «يفْرِي» العربيَّة؛ الواقعة في الضِّفَّة اليُسرى لوادِي الرَّحِي (وهو نَهْرُ وهران)، ويُعرف بوادي «راس العَيْن»، كما تُعرَفُ القريةُ الآن بحيّ «راس العَيْن».

8 - «بُرج العيون»: يقع دون البرج الجديد، لجهة الجنوب، وهو مِفتاح وهران وقُفلُها.

9 - «البُرج الأحمر»: بناه السلطان أبو الحسَن المريني حينَ نزوله بِوَهران عام 1347هـ=748م، وَهُوَ إيوانُ الحُكم لِكُلِّ مَن ملَكَ وهران.

10 - بنو الأحمر: مُلُوك الأندلس، تُعرَف دولتُهم بالدولة النصرية، ومُؤسِّسها الأول: محمد بن يوسف بن محمد، من آل نصر ابن الأحمر الخزرجي الأنصاريّ المتوفّى سنة (671هـ)، وهُو الَّذِي ابْتَنَى حِصن (الحَمْرَاء) بغرناطة. انظر: الأعلام (7/151).

11- هو يوسف بن كريون من عظماء اليهود وقُوَّادِهِم، له تأليفٌ في أخبار بيت المقدس واليهود. انظر خبره في تاريخ ابن خلدون (2/116).

12 - «بُرج اليهودي» نُسِب إلى اليهودي الذي خان مسلمي وهران ومكَّن لدخول كفرة الإسبان إليها، فكافؤُوه وَوهَبُوه هذا البُرج، فنُسِب إليهِ.

13 - أَمَصْيَاهُو، واحدٌ مِن مُلُوك القدس. ذكر أخباره: ابن خلدون في تاريخه (2/103) والعليمي في الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (1/147).

14 - في الأصل: سور ديب!... هُوَ سوريد بن سهلون صاحب الأهرام، أحد ملوك مصر، كان ملكًا عاقلاً عالمًا، وفي أيامه بُنِيَت الأهرام التي بأرض مصر. انظر الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (1/15-16). وفي حسن المحاضرة: سوريد بن سهلوق.

15 - لعله يُرِيدُ: سابق بن سليمان المطماطي، من أهل العلم بأنساب البربر. انظر تاريخ ابن خلدون (6/124).

صدر للمؤلف

مَوَاقِفُ الـمُصْلِحِينَ الجزائِرِيِّينَ
مِنْ رُسُومِ الـمُتَصَوِّفِينَ
وَأَوْضَاعِ الطُّرُقِيِّينَ

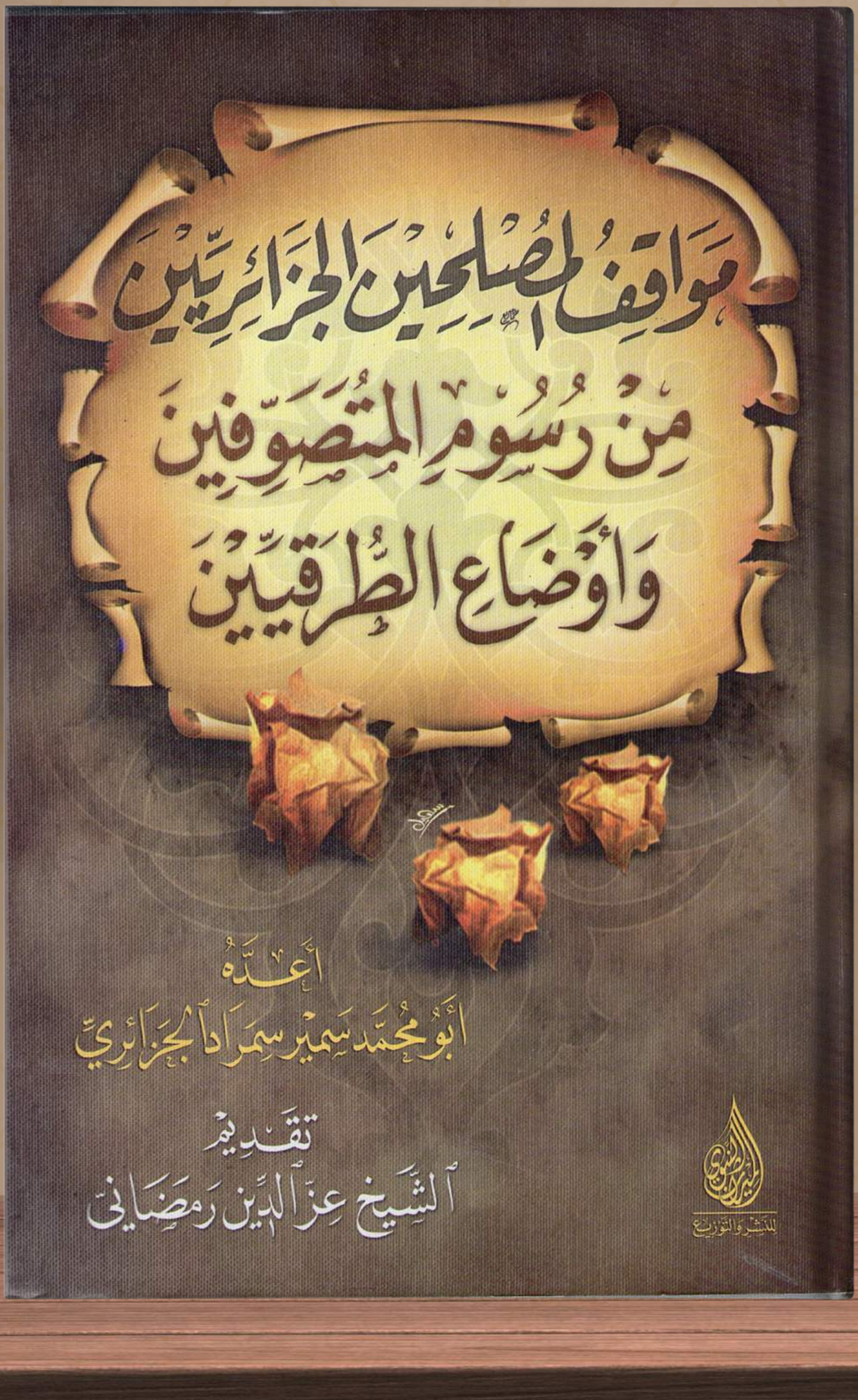

العدد 1

مصابيح العلم

نشرة دعوية تعنى بالتراث والمخطوط والسير والتاريخ

للتواصل معنا

aboumohamedsamir@gmail.com

سمير سمراد

www.ilmmasabih.com

(00213) 557658006